سابعًا :

الأدب والنقد

فن الترسل في العصر الأندلسي

دراسة تحليلية

دكتور تيسير رجب النسور

للترقية من أستاذ مشارك إلى أستاذ دكتور

جامعة البلقاء التطبيقية

كلية الأميرة عالية

tayseer@bau.edu.jo

فن الترسل في العصر الأندلسي دراسة تحليلية

تيسير رجب النسور
للترقية من أستاذ مشارك إلى أستاذ دكتور
جامعة البلقاء التطبيقية
كلية الأميرة عالية
tayseer@bau.edu.jo

الملخص

رسائل الأدب في الأندلس تطوراً كبيراً من حيث الاتجاهات والموضوعات ، وكان الكتاب قادرين على الكتابة في جميع المواد.

رافق خطابات رسائل جميع جوانب الحياة الأندلسية وانعكس في جميع أبعادها الاجتماعية والسياسية والفكرية والطبيعية.

تطور أدب الحروف من الناحية الفنية ، أخذ رسائلهم في بناء شكل فني جديد ، يختلف في بعض أجزاء ما كتبناه ، مثل البدء في بعض مقدمات الصلوات ، على سبيل المثال ، أو مباشرة إلى الموضوع ، واستخدام العناوين التي تناسب أولئك الذين يكتبونها.

أكثر من تجنيد الجمل الدعائية ، وكانت حريصة على الاقتباس من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وتضمنت الرسائل والحكم والأمثال

لم تكن نصوص الرسائل على مستوى واحد من حيث الإيجاز والمبالغة ، لكنها كانت تميل إلى المبالغة في الموضوع وشغف المؤلف.

السمة الغالبة لكلمات الوضوح والسهولة والبعد عن الغرابة والتعقيد لتناسب المجتمع الأندلسي والذوق الأدبي.

أكثر من استخدام المحسنات الفاضلة ، ولكن مع الطباعة والثقافة المتسقة ، وخلق العديد من الصور

الكلمات المفتاحية : الترسل – البناء الفي – التضمين – المتعرضة – الجمل الدعائية

An analytical study The art of messaging in the Andalusian period

Tayseer Rajab Al Nsour
From the rank of Associate Professor to Professor Doctor
At Balqa Applied University, Princess Alia University College
Email: tayseer@bau.edu.jo

Summary

- The development of literature letters in Andalusia a great development in terms of trends and topics, and the writers were able to write in all subjects.

Letters of letters accompanied all aspects of Andalusian life and was reflected in all its social, political, intellectual and natural dimensions.

The development of the literature of the letters from the technical point of view, have taken their messages in the construction of a new technical form, differ in some parts of what we have written, such as start some introductions of prayers, for example, or directly to the subject, and the use of titles that fit those who write it.

More than the recruitment of propaganda sentences, and were keen to quote from the Koran, and the Prophet's Hadith, and included messages and governance and proverbs

The texts of the letters were not on a single level in terms of brevity and exaggeration, but they tended to exaggerate the subject and the author's passion.

the predominant characteristic of the words clarity and ease and distance from the strangeness and complexity to suit the Andalusian society and literary taste.

More than the use of the virtuous enhancers, but with the consistent printing and culture, and created many images

Key words: transmission - physical construction - embedding - exposed - propaganda sentences

المقدمة

شهدت الرسائل الفنية بأنواعها نهضة جلية في الأندلس ولقرون طويلة ، وتطورت الرسائل تطورا واسعا في المحتوى والأسلوب، وتمثل هذا في تنوع مضامينه واتجاهاته ، ولا شك أن التنوع والتطور في المجتمع الأندلسي ساهم في بروز وتطور هذا الفن ، وحظيت الرسائل الأندلسية بمنزلة عظيمة ،وغدت من أهم فنون النثر في العصر الأندلسي وصارت صورة دالة على مظاهر الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية في العصر الأندلسي ، لذا ستقوم هذه الدراسة على تحليل مضامين هذه الرسائل ، والولوج إلى عناصرها وملامح أساليبها ، واتبعت في هذه الدراسة المنهج التكاملي ، تتكون هذه الدراسة من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، تناول الباحث في المبحث الأول الترسل لغة واصطلاحا ، وفي المبحث الثاني أنواع الترسل ، أما المبحث الثالث فقد تناول الخصائص الفنية .

التمهيد : الترسل لغة واصطلاحا

١ – الترسل لغة

قبل أن نقف على المعنى الاصطلاحي للترسل لا بد من التعرف إلى المعنى اللغوي لجذر الترسل ، فالترسل من كلمة رسلك فالراء و السين و اللام (ر س ل) جذر يتفرع منه ألفاظ يتبعها معان و دلالات ، ورسل : الرسل القطيع من كل شيء و الجمع أرسال، والرسل: الأبل ، والرسل قطيع بعد قطيع ،وأرسلوا إبلهم إلى الماء أرسالا أي قطعا. وإذا أورد الرجل إبله منقطعة قيل أوردها أرسالا. و الترُّسل و الَّرسل: الرفقة و التؤدة، و يقال: إفعل كذا و كذا على رسلك، أي اتئد فيه. و الترسل كالرسل، و الترسل في القراءة و الترسيل واحد ، وقيل: هو التحقيق بلا عجلة، و قيل بعضه على إثر بعض ، و الترسل في قراءته اتَّأد فيه ، يقال: ترسل الرجل في كلامه و مشيه ، إذا لم يعجل ، وهو و الترسل سواء،و الرسل: اللبن و الخصب، و السعة، والرسل : الذي فيه لين واسترخاء ، وشعر رسل : مسترسل ، والمرسال الناقة السهلة السير ، والترسل من الرسل في الأمور والمنطق كالتمهل و التوقر و التثبت ،

والرسول: بمعنى الرسالة و معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه،أخذا من قولهم: جاءت الإبل ،

رسلا أي متتابعة ونثر مرسل : لا يتقيد بسجع، و ترسل الكاتب: أتى بكلامه مرسلا من غير سجع و أرسل الكلام: أطلقه من غير تقييد، و راسله في عمله: تابعه فيه" [١].

ورسل الراء و السين و اللام، أصل واحد مطرد منقاس يدل على الإنبعاث والامتداد، والرسل السير السهل ، و الرسل : ما أرسل من الغنم إلى الرعي و الرسل: اللبن، و قياسه ما ذكرناه لأنه يترسل من الضرع ، و يقال: أرسل القوم: إذا كان لهم رسل وهو اللبن ، ورسيل الرجل الذي يقف معه في نضال أو غيره كأنه سمي بذلك لأنه إرساله سهمه يكون مع إرسال الآخر لسهمه ، والرسل الرخاء يقول بنيل منها في رخاءه و شدته و استرسلت إلى الشيء ، إذا انبعثت نفسك إليه أنست والمرسلات :الرياح "[٢]

٢ – اصطلاحا

إن الترسل مصطلح أدبي، يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل، قد تكون رسمية أو إخوانية، أو أدبية تصدر من كاتب يحاول أن يبسط من خلالها ما يريد على شكل أفكار

متتابعة، يترجمها لكلمات يؤلف بينها لتكون جمل و فقرات بأسلوب فيه تؤدة و سهولة و رفق من المرسل إلى المرسل إليه. و منهم من يقول: الترسل من المصطلحات الأدبية المولدة ، ويراد به كتابة الرسائل[٣]

"وهو فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر[٤]

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، دار لسان العرب ، مج١، ص ٥١
(٢) إ براهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، مجمع اللغة العربية ، ص٤٥
(٣)علي جميل مهنا ، الأدب في ظل الخلافة العباسية ، ط١ ، ١٩٨١، ص٢٢٢
(٤) حسين غالب ، بيان العرب الجدد ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، ١٩٧١، ص ١٨١

ويقول قدامة إن الترسل كان صناعة ومهنة لا يحترفها إلا من رسخت قدمه في الأدب، وكان له اطلاع على ضروب من المعرفة تؤهله لامتهان هذه الصناعة فضلا عن الصفات ، كالصدق و النزاهة والإخلاص و ما إلى ذلك ،.... ولا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر "[١]

ويقول ابن خلدون " واعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير من طبقات الناس و أهل المروءة و الحشمة منهم، و زيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك و مقاصد أحكامهم من أمثال ذلك، مع ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل مع ما ينظر إليه في الترسيل ، وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها "[٢]

(١) قدامة بن جعفر، نقد النثر ، تحقيق طه حسين ، دار الكتب المصرية ، ص٩
(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٤، ص ٢٤٧

المبحث الأول : أنواع الترسل

سأتحدث في هذا المبحث عن أنواع الرسائل التي برزت على الساحة الأدبية في الأندلس مبين خصائص وموضوعات كل نوع .

١- الترسل الديواني

تتنوع هذه الرسائل فهي تشمل الرسائل التي تصدر عن تولية العهد وتولية القضاة والولاة وما يتصل بأمور الرعية ، كما تشمل أيضا الرسائل التي تصدر عن الخليفة أو الملك أو الوزير إلى من هو مثله من أجل التهنئة أو البشارة أو التعزية أو المعاتبة أو ما شابه ذلك "[١]

ومن أنواع الرسائل الديوانية رسائل الجهاد التي يوجهها الخلفاء إلى قادتهم يكلفونهم فيها بالغزو ويزينون إليهم الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته ، واعتمدت هذه الرسائل على المعاني الدينية فكان الكاتب يضمنها الآيات التي تتحدث عن تكاليف الجهاد باعتباره فريضة شرعها الله ؛ لحماية دينه وإعلاء شأنه ، كما كانت تتحدث عما ينتظر المجاهدين من ثواب ونعيم في الدارين " [٢]

تطرقت الرسائل الديوانية إلى موضوعات متنوعة ، فكان منها رسائل الجهاد ، ومنها ما اختص بالفتن والاضطرابات التي شهدتها الأندلس والتمزق الذي ألم بها ، وكذلك من موضوعاتها مبايعة الخلفاء وكذلك التهاني بالفتوحات، وتضمنت الرسائل الديوانية ، أوامر الخلفاء بتولية من يختارونهم أو عزلهم ، وكذلك ما كان يكتبه الكتاب للخلفاء إلى الولاة من توجيهات لتحمل المسؤولية والمحافظة على الأمن ، وكذلك شملت الرسائل الديوانية متابعة أمور الرعية والعمل على استقرارها ، ومن ذلك رسالة المتوكل أبي حفص عمر بن الأفطس" [٣] " كتابي هذا جملة الشيخ الفقيه الواعظ يفصلها ،

(١) عبد العزيز عتيق ، في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، لبنان ، ط٢ ،١٩٧٢، ص٢٢٣

(٢) فوزي سعد عيسى ، الترسل في القرن الثالث الهجري ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩١ ، ص ١٨

(٣) هو ابو حفص عمر الملقب بالمتوكل ، اهتم بالأدب والأدباء ، تولى حكم مملكة بطليوس انظر ابن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ط١ ، مجلدان ،الزرقاء، مكتبة المنار ،١٩٨٩ ج١، ص ١٢٠-١٤٥

ومشتمل على نكتة هو يوضحا ويبينها ، فإنه لما توجهك نحوك احتسابا ، وتكلف المشقة إليك طالبا ثوابا ، عولت على بيانه ، ووثقت في عرض الحال عليك بفصاحة لسانه "[١] ، فقد كان يعتمد على الرسائل في نقل تفاصيل الأحداث ، والتأثير على المخاطب لإنجاز الهدف وإتمام المهمة .

ومن الرسائل الديوانية رسالة أبي عبدالله محمد بن أحمد اليزلياني"[٢] التي انتقد فيها استعانة بعض ملوك الطوائف بأعداء أمتهم "[٣] ، وحذر من النتائج الخطيرة المترتبة على ذلك ، إذ بعث برسالة ديوانية عن أميره "[٤] إلى صاحبي شاطبة يقول فيها " فقد بلغني أن مذهبكم الاستجاشة بالنصارى إلى بلاد المسلمين ، يطؤون ديارهم ، ويعفون آثارهم ، ويجتاحون أموالهم ، ويسفكون دماءهم ، ويستعبدون أبناءهم ويستخدمون نساءهم ، وإن نفذ هذا وأعوذ بالله فهي حالة مؤذنة بالذهاب ، وجريرة تؤذن بالخراب "[٥]

ويلاحظ حس الكاتب الذي يفهم مجريات عصره ، والتحالف مع العدو وإشراكه في الحروب الداخلية ونتائجه الخطيرة فهو يدعو إلى رص الصفوف والجهاد للدفاع عن الديار الأندلسية .

وهناك رسائل ديوانية تدعو إلى التآلف والتحذير من الفتن يقول الفقيه الكاتب ابو القاسم ابن الجد "[٦] على لسان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين " [٧] يقول :"واحذروا دواعي الفتن ، وعواقب الإحن ، وما يجر رداء

(١) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ٨مج ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ق٢، م٢ ، ص٦٥٥

(٢) هو ابو عبدالله محمد بن أحمد اليزلياني ت ٤٥٠هـ ، أحد شيوخ الكتاب ، ويقال أن له دورا في ثورة اسماعيل بن المعتضد ، انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، مصدر سابق ، ص٦٢٤-٦٢٧

(٣) انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، مصدر سابق، ص٦٤٠

(٤) في الذخيرة عبارة " وله عنه إلى صاحبي شاطبه " انظر ابن بسام ، الذخيرة ، مصدر سابق، ص٦٢٤-٦٣٧

(٥) هما مظفر ومبارك العامريان حكما شاطبه وبلنسيا ، انظر ابن بسام ، الذخيرة ، مصدرسابق،ص١٣

(٦) هو الوزير الفقيه الكاتب محمد بن عبدالله بن يحيى بن الجد الفهري (ت٥١٥هـ) ، تولى وزارة الراضي بن المعتمد بن عباد ، انظر ابن خاقان ، قلائد العقيان ، مصدر سابق ، ص٣٢٣

(٧) هو أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ، كان ملكا فاضلا ، حكم من (٥٠٠-٥٣٧هـ) ، انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م٧، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٣

الضمائر ، وفساد السرائر ،وعمى البصائر ، ووخيم المصائر ، واشفقوا على أديانكم وأعراضكم ، وتوبوا إلى الصلاح في جميع أغراضكم " (١).

يلاحظ في هذه الرسالة أن التحذير أتى بالتصريح لا بالتلميح " احذروا دواعي الفتن ...وما يجر رداء الضمائر ، وفساد السرائر ...الخ ،وقد اتسمت الجمل بهذه الرسائل بالإيجاز والقصر" عمى البصائر ، فساد السرائر ، وخيم المصائر ؛ وذلك للتأثير في المتلقي وفي الاستجابة لهذا الأمر . وهناك رسائل دعت إلى طاعة الحكام والولاة من مثل " وأن تكونوا لواليكم أبي فلان – أبقاه الله وأعزه بتقواه – على طويات سليمة ، وطريقة له في الانصياع والاقتداء به قويمة ، فيما ذهب إليه مما فيه حماية حوزتكم وصيانة حريمكم ، وشد أطرافكم، وسد ثغوركم ، فوالوه على تولية ، ولتكن أيديكم مع يده على سنن واحد فيه ولا تتكلوا في حد من حدود ذلك عنه، ولا تتسللوا لو أذى منه ، ولن تزالوا – ما سلكتم هذه السبيل ، وتلوتم هذا الدليل – على حال ترضي أولياءكم، وتشجي اعداءكم ، إن شاء الله "(٢).

المتأمل في نص هذه الرسالة يلاحظ التوجيهات والأوامر التي تحث على طاعة الولاة والحكام ، (فوالوه على تولية ولتكن أيديكم مع يده) ، لا سيما حين يحس الولاة والحكام بتقصير أو خيانة أو خطأ من الرعية ، ويبينوا ذلك للرعية بالحجة والدليل (فيه حماية حوزتكم ، وصيانة حريمكم ، وشد أطرافكم ، وسد ثغوركم) .

وشملت كذلك الرسائل الوعظية، و نعني بها تلك التي يكتبها بعض الأتقياء إلى بعض الحلفاء و السلاطين ، يحثونهم على التقوى و الرأفة بالرعية، والاستعداد للموت، وغير ذلك .

٢- الترسل الإخواني

يطلق اسم الرسائل الإخوانية على جميع الرسائل غير الديوانية كالتهنئة والتعزية، و البشارة، و العتاب،...، " والإخوانيات جمع إخوانية نسبة إلى

(١) ابن خاقان ، قلائد العقيان مصدر سابق، ص ٣٢٥ .
(٢) مكي ، محمود علي ، وثائق تاريخية جديدة ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة الثقافة ، ص ٦٧ .

الإخوان ، و المراد المكاتبة الدائمة بين الأصدقاء"[١]وذكر القلقشندي في صبح الأعشى سبعة عشر نوعا وهي" التهاني، و التعازي، و التهادي، والشفاعات، والشوق، والستزارة، واختطاب المودة، وخطبة النساء، والاستعطاف ، والاعتذار، و الشكوى، و استماحة الحوائج، و الشكر و العتاب، و السؤال عن حال المريض، و الأخبار، و المداعبة"[٢]

وأحيانا تطرق كتاب الرسائل الإخوانية فيما بينهم للحديث عن الحركات الجهادية ومن ذلك ما كتبه ابن عطية"[٣] لأحد اصدقائه ممن شاركوا في حملة لرد الأعداء قائلا : " لولاه ما علا هنالك للإسلام اسم ، ولا حبى للمدافعة رسم، ولا لاح للمكافحة وسم ، ولا عن لتلك العلل المجهزة على تلك الأقطار جسم ، ولكنه ركب صعب الأهوال ، وصدق الصيال "[٤].

عبر كاتب الرسالة عن محبته وفخره لصديقه ، وعن دوره في الدفاع عن الإسلام " لولاه ما علا هناك للإسلام اسم ، ...، لكنه ركب صعب الأهوال " .

ومن أمثلة الرسائل الإخوانية مكاتبة لأبي عبدالله بن الخصال"[٥] معتذرا لأحد أصدقائه لإبطائه في الرد عليه ، جاء فيها " لئن استبطأتني في المراجعة، وعنفتني على تأخير المطالعة ، فيعلم الله –وكفى به – أني لا اعتمد ذاك ، ولا أهوى خلاف هواك ، لكني مدفوع إلى أشغال ساهرة ، وهموم مستكنة وظاهرة ، ومن أدهاها وأمرها ، وأحماها وأحرها ، ما حل

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ج٩ ، ص٥
(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، مصدر سابق ، ص١٢٧
(٣) هو الوزير الفقيه القاضي عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي (٤٨١– ٥٤٢هـ) ، مفسر وفقيه من أهل غرناطة ، ولى قضاء المرية ، انظر، المقري ، شهاب الدين ابو العباس ، نفح الطيب ، الدار المصرية ، مصر، ٦٧٩/١.
(٤) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، مصدر سابق ، ص٦٧٣
(٥) أبو عبدالله بن أبي الخصال ، هو محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي ، له تفنن في العلوم والآداب وزير الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين ، انظر ابن خاقان ، قلائد الأعيان مصدر سابق، ص٥١٨

بالشرق – عصمه الله – من فرق – وعم الجزيرة من غصص بها وشرق، وملأ القلوب من المخافة اللازمة والفرق ، وهذه حال تدهل الخليل عن خليله "[١].

يلاحظ أن كاتب الرسالة يعتذر عن تقصيره ، ويحاول التقرب من المخاطب وكسب محبته وعطفه ، " لئن استبطأتني في المراجعة ... فيعلم الله –وكفى به – أني لا اعتمد ذاك" ، ويوضح موقفه ليلتمس العذر ، " لكني مدفوع إلى أشغال ساهرة ، وهموم مستكنة وظاهرة ، ...، ومن أدهاها وأمرها ، وأحماها وأحرها ، ما حل بالشرق " .

تدور معظم موضوعات الترسل الإخواني حول الجانب

الإنساني و ما يرتبط من صداقة و أخوة ،واتسعت الموضوعات لتشمل "كالرغبة في التلاقي للمسامرة أو المنادمة أو الإئتناس، و غير ذلك عن بعض العادات الاجتماعية التي شاعت بين الكتاب آنذاك كتبادل الهدايا من كتب وزهور و خيول و سيوف و غيرها. و اتخذ الكتاب الرسالة الإخوانية أداة لتوجيه الشكر إلى إخوانهم أو معروف أحاطوهم به"[٢]، وكذلك تناولت موضوعات أخرى كالاعتذار؛ لاعتباره يمثل صورة من صور العلاقة المتبادلة بين الكتاب، وكذلك التوصية؛ لإنجاز أمر يتعلق بالمعارف والأصدقاء .

(١) حياة قارة ،رسائل ابن أبي الخصال ، دراسات أندلسية ، العدد ١٣، ص١٠٨

(٢) فوزي سعد عيسى ، الترسل في القرن الثالث الهجري ،دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩١، ص٣٦

المبحث الثاني :الخصائص الفنية

أولا : البناء الفني للرسائل

إن الرسالة لها بداية ووسط وخاتمه وينبغي النظر إليها كوحدة متكاملة عند دراستها "[١].

١- المقدمات

مقدمات الرسائل ديوانية كانت أو إخوانية، تشمل عادة البسملة والصلاة على النبي – صلى الله عليه و سلم– وتتضمن الدعاء إضافة إلى التحية ويراعى فيها البراعة والجودة ؛لأنها تقع في البداية و هي أول ما يطرق السمع من الكلام من مثل " بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد و آله،..." [٢] وتبدأ أحيانا بأبيات شعريه لكاتبها أو لغيره ؛ لتدل على المضمون ، وأحيانا يلجأ إليها الكاتب للإشارة إلى مضمون الرسالة والغرض منها ، فضلا عن ذلك التزم الكاتب في صدر رسالته بالتحميدات خاصة في موضوعات معينة كالتولية والجهاد ، وقد طالت هذه التحميدات في بعض الرسائل حتى صارت أشبه بخطبة دينية ، وهذه التحميدات كانت في رسائل عبد الحميد الكاتب " التزام الكاتب في صدر رسالته بالتحميدات خاصة في موضوعات معينة كالتولية أو رسائل الجهاد وقد طالت هذه التحميدات في بعض الرسائل التي صارت أشبه بخطبة دينية مستقلة مما جعل بعض القدماء يجتزئون بالتحميدات عن مضمون الرسائل "[٣]

ومن الجدير بالذكر أن بعض الرسائل بدأت بالدعاء إلى المرسل إليه من مثل " أطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر ، الجميل الذكر، ...،" [٤]

ولوحظ أن العديد من الرسائل لا سيما الإخوانية خلت من البسملة والتصلية على النبي والتحميدات وقد دفع ذلك الباحثون إلى " ترجيح اسقاط

(١) احمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، ط٨، مكتبة النهضة ، مصر ، ١٩٧٣ ، ص٩٠
(٢) انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، مصدر سابق، ص٢٣٥
(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، مصدر سابق ، ص١٢٦
(٤) انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة مصدر سابق، ص٢٣٥

تلك المقدمات كان من قبل مؤلفي المصادر الأندلسية طلبا للاختصار والإيجاز ، ولإيراد أكبر قدر ممكن من النماذج النثرية "[١].

أما الرسائل الموجهة للصليبين فقد خلت من المقدمات واقتصرت على عبارة من فلان إلى فلان من مثل [٢] " من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله إلى الطاغية الباغية أدفونش "

فضلا عن ذلك كتاب الرسائل الإخوانية عبروا من غير تكلف في الخطاب ، وقد حاول النقاد أن يضعوا معالم يهتدي بها الكتاب في كل ضرب من ضروب الرسائل الإخوانية، و لكنهم في كثير من الأحيان يعترفون بالعجز عن وضع هذه المعالم، بدقة"[٣] ولذلك كانت الرسائل الإخوانية " أكثر أدبية وأكثر جمال من الترسل الديواني و جعل رسائله أدخل في الأدب، و أقبل للتخييل و الصور البيانية، و الصنعة البديعية"[٤].

٢- المضمون

غالبا يبدأ الحديث عن الموضوع بأما بعد وهي وقفة للشروع في الموضوع المراد التحدث عنه في الرسالة من مثل " أما بعد حرسكم الله بعينه التي لا تنام ، فإنا خاطبناكم مستنفرين ، وكاتبناكم مستغيثين "[٥] ، ومن مثل " أما بعد أصلح الله من أعمالكم ما اختل وأصلح من وجوه صلاحكم ما اعتل " [٦] ، أو بألفاظ معينة مثل كتابنا ، كتابي ، كتبت ، ...،من مثل " كتابنا أيدك الله بتقواه ، ووفقك ، لاشتراء دار حسناه ، بمجاهدة عداه ،...،" [٧].

(١) حازم عبدالله خضر ، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ، ص٣٦٣
(٢) مجهول ،الحلل الموشية ، مصدر سابق ، ص ٤٠
(٣) أحمد بدوي ، أسس النقد العربي عند العرب ، القاهرة ، ١٩٦٤، ص٢٣
(٤) محمد مسعود جبران ، في فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب ، دار المدار الإسلامي ، مج٢ ، ٢٠٠٤ ص٥٠
(٥) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة مصدر سابق ، ص ١٧٤
(٦) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص١٠٥-١٠٦
(٧) حسين مؤنس ، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين ، القاهرة ، مكتبة الثقافة ، ١٩٩٢ص٤٤

فضلا عن ذلك فقد تجاوز بعض كتاب الرسائل المقدمات التقليدية ، ودخلوا إلى الموضوع مباشرة ، وقد يعود ذلك إلى ثورة الغضب في نفوسهم تجاه حالة الانقسام والتفكك التي عانى منها الأندلسيون .

أما الوجه الآخر للدخول إلى المضون فهو رد الجواب من مثل "وردني كتابك الأثير المقابل بين النثر البليغ والنظم البديع " (١)

٣- الخاتمة

خاتمة الرسالة هي آخر شيء فيها وتنتهي غالبا بالسلام أو السلام عليكم و رحمة الله و بركاته" »و تكون مسبوقة غالبا بالدعاء من مثل " والله يمتعك برياض الآداب تجتني ثمارها ،...،" (٢) كما تشتمل كثير من الرسائل التأريخ باليوم و الشهر و السنة إشارة إلى انتهاء الرسالة وإن كانت بعض الرسائل تؤرخ في البداية ويشترط في الخاتمة الجودة ؛ لأنه آخر ما يتبقى في الأسماع ، على أن هذه العناصر البنائية للهيكل العام للرسائل غير ثابتة و مستقرة، فقد يخرج الكتاب عنها في بعض الحالات ، وقد ختم الكتاب الأندلسيين رسائلهم بالخاتمة المناسبة لها، إذ تتوافق مع موضوع الرسالة ومثل ذلك ما ختم به المعتمد بن عباد رسالته إلى يوسف بن تاشفين فبعد أن حثه على الجهاد واستنجد به قال في خاتمة الرسالة " ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم والأجر الجسيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والسلام الكريم على حضرتكم السامية ، ورحمة الله وبركاته "(٣)

وقد أثر بعض كتاب الرسائل أن يختم رسالته بالنظم ، وبعضهم ينبه في الخاتمة إلى دور حاملي الرسائل من مثل " ومن متحملي كتابنا هذا ، وهم ثقاتنا ، ...،والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته "(٤)

(١) انظر ابن بسام ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة مصدر سابق، ص١١٨

(٢) انظر ابن بسام الشنتريني ، مصدر سابق، ص١٩٦

(٣) مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ط١ ، م١، تحقيق سهل زكار وعبد القادر زمامه ، دار الرشاد ، تونس ، ١٩٧٩ ، ص ٤٧

(٤) حسين مؤنس ، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين ، القاهرة ، مكتبة الثقافة ، ١٩٩٢ص٤٩

وبعض الكتاب مال إلى الدعاء في خاتمة رسائلهم من مثل " فمنه الغوث والانتصار ، وعادة الإقالة إذا جد العثار "(١)

وبعضهم ختمها بالوعظ من مثل " إن أبلغ الموعظة في القلوب وأولاها بدرك المطلوب كلام علام الغيوب " (٢)

ثانيا : الأسلوب

تميزت الرسائل الأندلسية بالعديد من المزايا ، فقد حرصوا على توظيف المحسنات البديعية وطرائق مختلفة للتعبير ؛ لخدمة أفكارهم ، وأحسنوا التعامل مع اللغة فلم يتكلفوا أو يتصنعوا ،وتخيروا الألفاظ الملائمة والموحية ، وقد يعود ذلك إلى عاطفتهم الصادقة المتأثرة بضعف المسلمين وانقسامهم وتخاذلهم في الأندلس، من مثل " " أما بعد ، وفقك الله لما يرضيه منك عملا ، ويرضيك منه جزاء ، فإن للدنيا حرثا والناس زارعون ، وكل في معاده ، يأكل من حصاده ، وذو الجاه يسأل في الآخرة عن جاهه، كما يسأل ذو المال عن ماله ...، وقد أحوجت الأيام إلى جاهك ، وأعنت القناعة عن مالك ، فاتخذ عندي اليوم يدا ، تجدها مضاعفة " (٣).

يلاحظ أن ألفاظ الرسالة كغيرها من رسائل الأندلسيين سهلة واضحة " حرثا ، زارعون ، حصاده ، جاهك ، ...، الخ ، معبرة عن عاطفة صادقة ، وكذلك الصور " اتخذ عندي اليوم يدا تجدها عند الله مضاعفة " ، " فإن للدنيا حرثا والناس زارعون " .

١ – التضمين

تأثر كتاب الرسائل في الأندلس بالقرآن الكريم والأحاديث النبوي تأثرا كبيرا ، وذلك لأن جلهم كان من الفقهاء ولتدعيم آرائهم والدفاع عن الأندلس ، وجاءت اقتباساتهم على صور مختلفة ، فمنهم من اقتبس الآيات بنصها من مثل " هذه الجنة ادخرها الله لظلال سيوفكم ، وإجمال معروفكم ، نستعين بالله

(١) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة مصدر سابق، ص٨٧
(٢) حياة قارة ، رسائل بن أبي الخصال ، دراسات أندلسية ، العدد ١٣، ص٥٥
(٣) الذخيره ، مصدر سابق ، ص٤٩٢ ابن بسام ،

وملائكته وبكم على الكافرين ، كما قال الله سبحانه وتعالى وهو أكرم القائلين " [١] " "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين " [٢].

ومن مثل " وأنى لمثلها بالدفاع عن الحريم ،...، "[٣].

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" [٤]، ومنهم من صاغ الآيات بلغته من مثل " فإذا وصل إليكم وقرئ عليكم ، فاقمعوا الأنفس الأمارة بالسوء "[٥] وهو بذلك يتمثل قول الله تعالى " إن النفس لأمارة بالسوء" [٦]، وقد تضمنت رسائلهم الأحاديث النبوية الشريفة من مثل " ...، وقال صلى الله عليه وسلم ، لا تقاطعوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، وعلى طاعته أعوانا " [٧]

ويلاحظ من خلال توظيف الاقتباسات حرص الكتاب الأندلسيين على ملائمة الاقتباسات لنسيج الرسائل ، وتثبيت الغرض الذي يريده الكاتب من رسالته .

وكذلك ضمنوا رسائلهم أبياتا من الشعر للحض على الجهاد وإصلاح حال الأندلس من مثل الرسالة الموجهة إلى أقوى أمراء الطوائف عباد بن محمد الملقب بالمعتضد "[٨]

أعباد كلا قد علوت فضائلا تقاصر عنها كل أروع ماجد

ويشعره بأن الخرق قد اتسع على الراقع ، وأن الخطر بات قريبا منه " [٩] .

---

(١) مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهل زكار وعبد القادر زمامه، ط١ ، م١، ، دار الرشاد ، تونس ، ١٩٧٩ ، ، ص٤٨

(٢) التوبة ١٤

(٣) انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، مصدر سابق، ص٨٤

(٤) البقرة ، آية ٢٥١

(٥) انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، مصدر سابق،ص٨٤

(٦) يوسف اية ٥٣

(٧) مسلم بن حجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة ، ٢٠٠٦

(٨) هو عباد بن محمد الملقب بالمعتضد ، تولى حكم مملكة اشبيلية (من عام (٤٣٣-٤٦١)،انظر ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣، ص ١٩٠-١٩٧

(٩) مجهول ، الحلل الموشية المصدر السابق ، ص٤٨

فضلا عن ذلك ضمنوا رسائلهم الحكم والأمثال من مثل " ومن العجب قولك :" اقدح لي أضيء لك "[١]، وقد قدحنا لكم فأظلمتم ..فيا للمسلمين تعالوا إلى التعاون واتفقوا ولا تفرقوا .."وقد ناديت إن اسمعت" ، ونصحت بقدر ما استطعت ، فإن وافقت قبولا ولقيت تأويلا جميلا ، فإن الخير عتيد " [٢]

المتأمل لهذه الرسالة يلاحظ ورود المثل " أضئ لي أقدح لك "[٣] ولكن بطريقة عكسية " اقدح لي أضئ لك "وكذلك " قد ناديت إن اسمعت " من المثل " قد اسمعت لو ناديت حيا " .

٢- الجمل الدعائية والمعترضة

كثرت الجمل الدعائية والاعتراضية في رسائلهم لاسيما في رسائل الحض على الجهاد ، فيما يناسب المضمون والغرض من الرسائل ، فهي توضح وتدعم الأفكار ، من مثل " كتابي- أعزك الله – وقد ورد كتاب المنصور ملاذي المعتد بك – أيدك الله – أودعه ما ودع من حياة ،...،- دمره الله – ،" [٤]

وقد حرص كتاب الرسائل الأندلسيين على الجمل الاعتراضية الدعائية عند مخاطبة الولاة والحكام ؛ وذلك للدعاء لهم بالتأييد والعزة من مثل " وإني- أقر الله عينك – لا تردد وقد قصر عن تمللي السلام " [٥].

ومن مثل " أطال أيها السيد بقاءك ،كما وصل عزتك وارتقاءك ، وأسنى مرتبتك ، ... وأعلاك " [٦]

ومن مثل " قد وصل الله كتابكم – وصل الله معونتكم وكلاءكم – تذكرون ما تقرر عندكم هنالك من أحوال تلك الجهة " [٧]

(١) الميداني ، أبو الفضل محمد بن أحمد ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المحمدية ، لا ت ج٢، ص ٢٠٥

(٢) الميداني ، مجمع الأمثال المصدر السابق ، ١٠٦

(٣) حسين خربوش ،ابن بسام وكتابه الذخيرة ،دار الفكر العربي للنشر والتوزيع عمان ، ١٩٨٤، ص٢٣٧

(٤) ابن خاقان ، قلائد العقيان المصدر السابق، ص ١٧٣-١٧٤

(٥) ابن خاقان ، قلائد العقيان ،المصدر السابق، ص٦٧٦

(٦) ابن خاقان ، قلائد العقيان ،المصدر السابق، ص١٩١

(٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، مصدر سابق ، ص١١٠

وقد تتكرر جمل معترضة غير دعائية ، وخلت بعض الرسائل من الجمل المعترضة وقد يعود ذلك إلى صراحة كاتب الرسالة وثقته بمنزلته عند المرسل إليه من مثل " وردت لك بهذه الجهة انقطاع المواساة ، وامتناع الألسن بالمكابدة لشظف العيش والمقاساة ، وإلى المقام الأعلى الأسنى نفزع حين نفزع ، ونذهب حين نرجو ونرهب ، ونلجأ فلا تؤخر طلباتنا ولا ترجا ....والتضرع في إدرار ما جزر من تلك المنة"(١)

٣- الإطناب

الإطناب بلاغة "(٢)، مراعاة مقتضى الحال ، والحال المتردية في الأندلس في جميع جوانب الحياة اقتضت من كتاب الرسائل الكتابة بمساحات واسعة ؛للتأثير على الخاصة والعامة ؛ لإقناعهم بضرورة التغيير وترهيبهم من عواقب الانقسام ، وضرورة توحيد الصفوف ، والتحرك للجهاد، فضلا عن ذلك رغبة الأندلسيين بالوضوح والبعد عن التعقيد فقد اعتمدوا على توضيح المعنى بزيادة الألفاظ وكذلك قوة العاطفة لديهم جعلهم يميلون إلى تفصيل الأحداث ، ويظهر الأطناب في رسائلهم بصورة جلية من مثل " فأحاطة بنا كإحاطة القلادة بالعنق ، يسوموننا سوء العذاب ، بضروب من الحرب والحراب ، آناء ليلها ونهارها ،تصب علينا صواعقها ، وترمي إلينا بوائقها "(٣).

يلاحظ أن جميع ما ذكر بعد " يسوموننا سوء العذاب " تفصيل وإيضاح وتأكيد للمعنى للتأثير في نفس المتلقي ويلاحظ أيضا أنه لم يكن مخلا بالمعنى بل مؤكدا وموضحا له .

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، مصدر سابق ، ص٥٢٣

(٢) العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله ، الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة ، ط١، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨١، ص١٤٥

(٣) ابن بسام ، ، الذخيرة مصدر سابق،ص١٧٥

ومن مثل " والذين يحملون من أوزارهم ، أوزارا مع أوزارهم ، ويحتقبون من آصارهم ، ...، فالأموال مستهلكة ، والحرمات منتهكة ، والدماء مهراقة ، والنساء مستاقة "(١).

فتفصيل الأحداث " أموال مستهلكة ، والحرمات منتهكة ، والدماء مهراقة ، والنساء مستاقة " ، كلها تأكيد للقتل والتنكيل وتفصيل وإيضاح للتأثير في المتلقي وإقناعه بالمراد .

٤- السجع

وهوصنعة لفظية تتوافق فيها بعض فواصل الكلام المنثور ، وله لذة في القلوب والآذان " (٢)، ويستطيع الكاتب من خلاله شد انتباه المتلقي ، وقد أجاد الكتاب الأندلسيون في استعمال السجع ، وحرصوا على استعمال السجع الرشيق الذي يحقق الموسيقى والإيقاع وما يضفيه من رونق لفظي وقد مالوا إلى الاعتدال في استخدامه ولم يسرفوا فيه فقد كانوا أقرب إلى الطبع وعفو الخاطر، من مثل " ونفوسنا منطبقة ، وقلوبنا محترقة ، على حين نشر الكفر جناحيه ، أبدى الشرك ناجذيه " (٣)، ويلاحظ توظيف السجع هنا للتأثير في النفوس وتحفيزها وحضها على تغيير الواقع المرير .

ومثل ذلك أيضا " فتوح أضحكت مبسم الدهر، ...، فذكرها زاد الراكب اللاغب ، ومتعة الحاضر ، ونقلة المسافر " (٤)

ومثل ذلك في الرسائل الإخوانية من مثل " وأي أمان ،من زمان ،يدب دبيب العربان، ويثب وثوب الأفعوان" (٥) ، ما أمكنها إمكان ، وعن لها مكان ،

(١) ابن بسام ، الذخيرة مصدر سابق، ص٦٣٩

(٢) القاسم محمد بن عبد الغفور ، أحكام صنعة الكلام ، دار الثقافة، بيروت ، ١٩٦٦، ص١١٤

(٣) الجيلاني سلطاني ، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس ، دمشق ، ١٩٨٧، ص٢٢٢

(٤) انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، مصدر سابق، ص٢٣٥

(٥) الأفعوان : ذكر الأفعى والجمع أفاع والمؤنث أفعى راجع ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق

ويسعى بالنميمة بين الفروع والأرومة " [١]، وهيهات أن تصطفى حية رقشاء" [٢] ، لين مسها قاتل سمها يهوي إليها الجاهل ويحذرها العاقل " [٣]، وبالرغم من أن السجع جاء في أغلب النصوص مسايرا للذوق والطبع إلا اننا وجدنا نصوص بعض الرسائل احتوت سجعا متكلفا من مثل " وكسرى حمل غاشيتك ، وقيصر رعى ماشيتك ، وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك "[٤]،يلاحظ التكلف في الالتزام بحرف الكاف والتصنع قصدا .

٥- الجناس

الجناس التام منه يتفق ركناه في أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها وترتيبها "[٥]، والجناس يؤكد نغمة الكلمة بإعادة اللفظ مع اختلاف المعنى "[٦]، والجناس يشد انتباه المتلقي ، ويحفزه لفهم المعنى ، وقد ظهر في نصوص رسائل الأندلسيين بشكل لافت لا سيما الجناس الناقص وقد يعود ذلك لبعدهم عن التكلف من مثل " وإن أردت الأخرى فجهاد لا يفتر ، وجلاد يحز الغلاصم ويبتر " [٧]، فقد دلت المجانسة بين يفتر بمعنى الضعف ويبتر بمعنى القطع ، على حاجة الأندلس للخروج من الضعف والانقسام وضرورة تخلصها من العدو .

---

(١) الأرومة : أصل الشجرة أو ما يبقى منها بعد القطع والجمع أرومات وأروم راجع ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق

(٢) الرقشاء :الرقش كالنقش ، والرقش والرقشاء لون فيه كدره سوداء ونحوهما جندب أرقش وحية رقشاء ، فيها نقط سواد وبياض ورقشاء الأفعى سميت كذلك لبياض في ظهرها ، راجع ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق

(٣) انظر ابن بسام الشنتريني ، مصدر سابق، ص١٥٥

(٤) ابن نباته المصري ، جمال الدين محمد بن محمد ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٤، ص ١٥٠

(٥) جلال الدين السيوطي ، جنى الجناس ، تحقيق علي رزق الخفاجي ،الدار الفنية للطباعة والنشر ، ١٩٨٦، ص٢٦٢

(٦) عبدالله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ،ج٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ٦٢٢

(٧) مج هول ، الحلل الموشية ، مصدر سابق ، ص٤٨

ومن مثل " ولما رأيت الأمر قد ضاع ، والإدبار قد انتشر وذاع ، أشفقت من التلف ، وعدلت إلى ما يعقبنا – إن شاء الله – بالخلف "[١]

ومن مثل " يا ليت شعري كيف أتغير على بعضي ، وأمنحه قطيعتي وبغضي " [٢].

٦- الطباق والمقابلة

" الطباق أن تأتي بالشيء وضده " [٣] أما تعدد الطباق في التركيب فمقابلة "[٤] أن اجتماع المتناقضات في التركيب يشد انتباه المتلقي ويثير اهتمامه ، وهذا يدل على حنكة الكاتب ومقدرته اللغوية ، ومن أمثلة المقابلة " وينفر بهم خفافا وثقالا ، عليهم من فواده شيبها وشبانها ، وفيهم من أجناده زنجها وعربانها " [٥] ، فقد وظف المقابلة للشمول والإحاطة ،للأعمار والأجناس ، والعدد والعدة ، ومن أمثلة الطباق " يستوي في الاستضرار بها قاصيها ودانيها "[٦]، فقد وظف الطباق هنا ؛ ليدل على شمول المكان .

ومن مثل " وقد امتطى العزم ظهرا ، واستشعر النصيحة سرا وجهرا " [٧]

والمطابقة هنا للإحاطة بالصوت سره وجهره ، والأمثلة كثيرة في رسائلهم على توظيف المقابلة والطباق ، وكلها تشير إلى مقدرتهم على توظيفها للتأثير في المتلقي وإقناعه بما يجري من أحداث ينبغي استيعابها فالأندلس تستحق الدفاع عنها .

(١) انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ،مصدر سابق ، ص٦٤٦

(٢) العماد الأصفهاني ، أبو محمد صفي الدين عبدالله بن محمد ، نقحه محمد المرزوقي ، ومحمد العروسي ، تونس ، ١٩٧١

(٣) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، مصدر سابق، ص ١٩٤

(٤) ابن الزملكاني ، التبيان في علم البيان ، بغداد ، مكتبة العاني ، ١٩٦٤ص١٧٠

(٥) ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح ، المثل السائر ،دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٢ ، ١٤٤/٣

(٦) انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، مصدر سابق، ص٦٥٥

(٧) انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، مصدر سابق ، ص٨٧

٧- الألفاظ

يتسم أدب الرسائل في الأندلس بالسهولة والوضوح والابتعاد عن التعقيد، وغيرها من الصفات ، فقد استخدموا الألفاظ التي تناسب المجتمع الأندلسي وذوقه الأدبي من مثل " في مشاهد جمعت أشتات الأنس ، واحتفلت من منى النفس ، وتناولت الراح من يد القمر والشمس ، بين بساتين نشرت عليها تستر ألويتها "[١]

نلاحظ أن الألفاظ سهلة واضحة معبرة عن مشاعر الكاتب وانفعالاته

" وتتسم موضوعات الرسائل الإخوانية في المديح والمودة والعتاب والاعتذار والتهنئة والشكوى والرثاء والتعازي والشفاعات والوصايا بالسهولة والوضوح والابتعاد عن صعب الألفاظ وغريبها"[٢]

وكذلك الرسائل الديوانية اتسمت بسهولة الألفاظ ووضحها ، والابتعاد عن التعقيد والغرابة في موضوعات التولية والتعيين والتوجيهات والوصايا الديوانية وغيرها "[٣]

فقد شمل طابع الوضوح والسهولة في الألفاظ والمفردات معظم موضوعات أدب الرسائل وأغراضه إلا أن بعض النصوص اتسمت بصعوبة الألفاظ وغرابتها من مثل " فأين منك الحية النضاض "[٤]، وسليك بن السلكة "[٥]،...، "[٦].

(١) انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، مصدر سابق، ص٣٠٠

(٢) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، مصدر سابق ، ص١٥٨

(٣) القلائد ابن خاقان ، قلائد العقيان ، مصدر سابق، ص٤٥

(٤) الحية النضاض : هي الحية التي لا تستقر في مكان) راجع مادة نضض ،ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق

(٥) هو سليك بن عمرو والسلكة أمه ، وهو أحد أغربة العرب وهجنائهم وصعاليكهم العدائيين في العصر الجاهلي) انظر

(٦) ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، عيون الأخبار ، ط٤،دار الثقافة ج١، بيروت ، ١٩٨٠،ص٢٨

٨- الخيال والصورة

من أبرز الوسائل التي استخدمت في أدب الرسائل في الأندلس ، ولم يقتصر على موضوع معين من أدب الرسائل وإنما يشمل معظم موضوعاته وأغراضه ، وقد كان الخيال عند الكتاب الأندلسيين مبنيا على إيراد الصور والتشبيهات والاستعارات المختلفة ، وكانت البيئة الأندلسية مصدرا بارزا للأخيلة والتشبيهات ومن أمثلة ذلك " ومتعك بما منحك من يمن طائره على عدوك ، وسعده اللذين بهما ، انقض على عدوك ، انقضاض الكوكب الساري فخسف به وبجمعه "(١)

فقد شبه انقضاض الجيش بانقضاض الكوكب الساري في السرعة ، والقضاء على كل ما يقع عليه .

ومن مثل " وجوزنا للعدو أسودا ضارية ، وسباعا عادية ، شيبا وشبابا ، بسواعد قوية ، وقلوب في سبيل الله نقية ، يتلمظون تلمظ الفهود ، ويزأرون زئير الأسود "(٢)

وقد اعتمد الكتاب في صورهم على عنصر التشخيص والتجسيم بإلباس المعاني صورا حية ، وبث الحياة فيها من مثل " فالأرض قد نثرت ملاءها ، وسحبت رداءها ، ولبست جلبابها ، والأشجار نثرت شعورها وهزت رؤوسها ، والدنيا قد أبدت بشرها ، وأماطت عبوسها "(٣).

وقد ظهر الجانب الحسي للصورة البيانية على هيئات وصور متعددة ، من أبرزها الصورة الحركية من مثل " أذن الله تعالى أن يطلع وينشر صحيفته ، فقشعت الريح السحاب ، كما طوى السجل الكتاب ، وطفقت السماء تخلع جلبابها ، والشمس تحط نقابها ، وانطلقت الدنيا كأنها عروس تجلت ، وقد تحلت " (٤)

(١) انظر ابن بسام ابن بسام الشنتريني ، مصدر سابق ، ص٥٨٠
(٢) رسائل سياسية وأخوانية أندلسية ، الإسكوريال ، ٤٨٨: ٤٩
(٣) انظر ابن بسام ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ، مصدر سابق ص١٥٤
(٤) انظر ابن بسام ابن بسام الشنتريني ، مصدر سابق ص٥٤٣

فقد صور الكاتب من خلال التشبيهات والاستعارات والأفعال التي وظفها أن كل شيء في الطبيعة يتحرك .

وكذلك ظهرت الصور اللونية من مثل " فمن ورد كتوريد الخدود ، وبنفسج حكى زرق اليواقيت ، وبقية النار في أطراف كبريت ، وياسمين يذكر بالخدود البيض" (١)

(١)انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة . مصدر سابق ص٧٦١.

الخاتمة

١-تطور أدب الرسائل في الأندلس تطورا كبيرا من حيث الاتجاهات والموضوعات ، واستطاع الكتاب أن يكتبوا في كل المواضيع .

٢-واكب أدب الرسائل جميع مظاهر الحياة الأندلسية وكان انعكاسا لها بكل أبعادها الاجماعية والسياسية والفكرية والطبيعية .

٣-تطور أدب الرسائل من الناحية الفنية ، فقد اتخذت رسائلهم في بنائها شكلا فنيا جديدا ، تختلف في بعض الجزئيات عما ألفناه مثل البدء في بعض مقدمات الرسائل بالدعاء على سبيل المثال أو بالدخول مباشرة إلى الموضوع ، واستخدام الألقاب التي تناسب من يكتب إليه.

٤-أكثروا من توظيف الجمل الدعائية ، وحرصوا على الاقتباس من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وضمنوا رسائلهم الحكم والأمثال والأشعار .

٥- لم تكن نصوص الرسائل على مستوى واحد من حيث الإيجاز والإطناب ولكن غلب عليهم الميل إلى الإطناب للتوضيح وحسب الموضوع وعاطفة الكاتب .

٦-السمة الغالبة على الألفاظ الوضوح والسهولة والبعد عن الغرابة والتعقيد لتناسب المجتمع الأندلسي وذوقه الأدبي .

٧-أكثروا من استخدام المحسنات البديعية ، لكن مع ما يتفق وطبعهم وثقافتهم ، وابتكروا العديد من الصور والأخيلة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- إ براهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، مجمع اللغة العربية.

٢- ابن منظور ، لسان العرب ، دار لسان العرب ، مج١

٣- ابن خلدون ، المقدمة ، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ، لبنان ، ط١

٤- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م٧، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢

٥ - ابن خاقان ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ،ط١ ، مكتبة المنار ، الزرقاء

٦- ابن الزملكاني ، التبيان في علم البيان ، بغداد ، مكتبة العاني ، ١٩٦٤ص١٧٠

٧- ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، عيون الأخبار ، ط٤،دار الثقافة ج١، بيروت ، ١٩٨٠

٨- ابن بسام ، الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ٨مج ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٩٧، ق٣، م١، ١٩٧٤

٩-ابن نباته المصري ، جمال الدين محمد بن محمد ، تحقيق ابو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٤

١٠- الجيلاني سلطاني ، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس ، دمشق ، ١٩٨٧

١١ - حسين غالب ، بيان العرب الجدد ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، ١٩٧١

١٢- حسين مؤنس ، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين ، القاهرة ، مكتبة الثقافة رسائل سياسية وأخوانية أندلسية ، الإسكوريال ، ٤٨٨: ٤٩

١٣- حازم عبدالله خضر ، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ، دار الرشيد ، ١٩٨٠

١٤-حياة قارة ، رسائل ابن أبي الخصال ، دراسات أندلسية ، العدد ١٣

١٥- خربوش، حسين ،ابن بسام وكتابه الذخيرة ،دار الفكر العربي للنشر والتوزيع عمان ،١٩٨٤

١٦-السيوطي ، جلال الدين ، جنى الجناس ، تحقيق علي رزق الخفاجي ،الدار الفنية للطباعة والنشر ، ١٩٨٦

١٧- الشايب ، احمد ، أصول النقد الأدبي ، ط٨، مكتبة النهضة، مصر ، ١٩٧٣
١٨-عتيق ، عبد العزيز ، في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، لبنان ، ط٢ ،١٩٧٢
١٩- العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبدالله ، الصناعتين ، ط١، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨١
٢٠- العماد الأصفهاني ، أبو محمد صفي الدين عبدالله بن محمد ، نقحه محمد المرزوقي ، ومحمد العروسي ، تونس ، ١٩٧١
٢١- عبدالله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ،ج٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠
٢٢- علي جميل مهنا ، الأدب في ظل الخلافة العباسية ، ط١ ، ١٩٨١
٢٣- عيسى ، فوزي سعد ، الترسل في القرن الثالث الهجري ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩١
٢٤- القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ج٨
٢٥--قدامة بن جعفر، نقد النثر ، تحقيق طه حسين ، دار الكتب المصرية
٢٦ - مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ط١ ، م١، تحقيق سهل زكار وعبد القادر زمامه ، دار الرشاد ، تونس ، ١٩٧٩
٢٧-محمد بن عبد الغفور، القاسم ، أحكام صنعة الكلام ، دار الثقافة، بيروت ، ١٩٦٦
٢٨- محمد مسعود جبران ، في فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب ، دار المدار الإسلامي ، مج٢
٢٩- مسلم بن حجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة ، ٢٠٠٦
٣٠- المقري ، شهاب الدين ابو العباس ، نفح الطيب ، الدار المصرية ، مصر، ٦٧٩/١
٣١- الميداني ، أبو الفضل محمد بن أحمد ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المحمدية ، لا ت ج٢